عنوان البحث :

التأثير والتأثر بين الأدب العباسي والأدب الأندلسي في النثر (كتاب العقد الفريد وعيون الأخبار لابن قتيبة نموذجا) .

إشراف الدكتور /

عصام فاروق إمام أحمد.

نائب رئيس قسم اللغة العربية للتعليم عن بعد

اعداد :

الطالب : زيد بن خالد مطلع المخلفي.

بحث تكميلي لنيل درجة (الماجستير في الأدب العربي والنقد الأدبي) هيكل(ج).

القسم : كلية اللغات .

الأكاديمية : جامعة المدينة العالمية – ماليزيا .

السنة : (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م) .

خطة البحث

- مقدمة عن الأدب في العصر العباسي

مقدمة عن الأدب في العصر العباسي

العصر العباسي هو عصر الإسلام الذهبي الذي بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغوه من قبل ، وملوك هذه الدولة ينتمون إلى العباس عم النبي -صلى الله عليه

وسلم -، انتزعوا الخلافة قسرًا من يد الأمويين بمعونة الفرس، قامت الدولة العباسية على أثر ثورة ضد الأمويين كان العباسيون قد أعدّوا لها في روّية وإحكام وسريّة عام ١٣٢هـ... كما أقاموا عرشها في العراق.

من هذا العصر شرع النقد الأدبي يخطو خطوات جديدة في سبيل تكوين بنائه وإقامة منهجة ، لكن نقادهم التقوا جميعا في نقطة واحدة هي : النهوض بهذا الفن الجميل والسير به قدما نحو التكوين والتكامل.

استمرت الخلافة العباسية في المشرق من سنة ١٣٢ إلى ٦٥٦ للهجرة أي لمدة ٥٢٤ سنة، و بقي للعباسيين بعد ذلك الخلافة بمصر إلى سنة ٩٢٣ للهجرة.

و تعد الدولة العباسية كما يقول ابن طباطبا كثيرة المحاسن ، جمة المكارم ، أسواق العلوم فيها قائمة ، و بضائع الآداب فيها نافقة ، و شعائر الدين فيها معظمة ، و الخيرات فيها دائرة ، و الدنيا عامرة ، و الحرمات مرعية ، و الثغور محصنة ، و مازالت على ذلك حتى أواخر أيامها ، فأنتشر الشر ، و اضطرب الأمر.

ويعد العهد العباسي أكثر العهود ازدهارا للعلم والأدب والفن فهو عصر رقي الحضارة الإسلامية ونضوج الثقافة ، فقد صنفت كتب في مختلف العلوم المتداولة مما أتاح المجال لتنامي العلم والأدب وكانت بغداد مركزا للخلافة ولاتخاذ القرارات السياسية ، وقد قصدها العديد من كل حدب وصوب بغية نيل السلطة والثروة ، الأمر الذي أدى إلى توثيق العلاقة بين الثقافات والحضارات المختلفة. كما قصدها أيضا أهل العلم والأدب ، وكان اهتمام الخلفاء بهم قد لعب دورا مهما في تقدم العلم والثقافة الإسلامية حيث أثار الرغبة لجمع الأشعار وحفظها وروايتها. وقد صنفت الكثير من الكتب في العلوم الانسانية والدينية والتاريخية والجغرافية وترجمت من سائر اللغات إلى العربية ومع إختلاط الثقافات الإيرانية والهندية واليونانية والرومية واختلاطها بالثقافة العربية ظهر لنا مجتمع أكثر رقيا مما هو عليه في العصر الأموي ، وظهرت مجموعة من العلماء في الفلسفة ، والطبيعيات ، والرياضيات ، والعلم ، والنقد ، وروايات الشعر ، وظهرت علوم مثل الهندسة ، والرسم ، والموسيقى ، والأدب.

ومن ثم أمكننا أن نقسم العصر العباسي إلى أربعة عصور : ـ

العصر العباسي الأول : عصر القوة ما بين عامي (١٣٢هـ : ٢٣٢ هـ) .

العصر العباسي الثاني : عصر استبداد المماليك الأتراك مابين عـــــامي (٢٣٢ هـ : ٣٣٤هـ) ٠

العصر العباسي الثالث : عصر بني بويه مابين عامي (٣٣٤: ٤٤٧ هــ)

العصر العباسي الرابع : الدولة السلجوقية ما بين عامي(٤٤٧: ٦٥٦ هـ)

ولما " كان الفن والفنان يتأثران جميعا بكل ما يموج به العصـــر الذي وجد فيه من تيارات سياسية ، واجتماعية ، وحضارية كان لزاما علينا إلقاء الضوء على الحالة السياسية ، والاجـــــتماعية ، والثقافية في العصر العباسي ٠

الحياة الاجتماعية في العصر العباسي :ـ

يجب الإشارة إلى أن الأدب في كل عصر ظل للحياة الاجتماعية و " يقصد بالحالة الاجتماعية في بلـــد من البلاد ، ذكر طبقات المجتمع في هذا البلد من حـيث الجنس والدين ، وعـــلاقة كل هذه الطـبقات بعــضها ببعـض ، ثم بحـث نظـــام الأسرة وحياة أفرادها ، وما يتمتـع كل منهم من حرية ، ثـم وصف البلاط ومجـــالس الخلفاء ، والأعيـــاد ، والمـواسم ، والولائـم ، والحفلات ، وأماكن النزهة ، وما فيها من أساس وطعام وشراب ولباس ،وما إلى ذلك من مظاهر المجتمع " وبعيدا عن التقسيمات التاريخية ، والسياسية للعصر العباسي يمكننا أن نقف في عجالة على بعض الظواهر الاجتماعية التي غـلبت على الحياة في العصر العباسي ٠

***الحضارة والثراء والترف :ــ**

" لقد تفنن الخلفاء ، والوزراء في بناء القصور ، حـــتى ليشبه بعضها مدنا صغرى تمتلئ بالأفنية ، والأساطين ، والقباب ،والجداول ،والبســاتين ، والجداول ،والبرك ، والنافورات " وذلك راجع إلى ما ورثه العرب مـن حضارات البلاد المفتوحة سواء من العراق أم الشام ، أم غيرها ، ومثل هـذا البذخ تمتع به الخلفاء ، وحواشيهم من البيت العباسي ، ومن اتصل بهم ، أما باقي طبقات المجتمع فظلت تعاني من التقلب في أوضاع الحياة المعيشية ٠

وفي ظل الترف لطائفة دون أخرى " انحـــــــدرت الحياة الاجتماعية انحدارا شنيعا ٠٠٠ وكان أثـر الحاجة عنـد المحرومين أن احـــتالوا على العيش بتجارة الرقيق ، وكـــثرت الجواري في منازل الأغـنياء ، واضطر كثير من الناس تحت ضغط الفقـر إلى احتراف الغناء ، ومنادمة الـوزراء ، والخلفاء وتبع ذلك كله تهاون في بعض الفضائل ، وإلحاد في الشرائــــع ، ورقة في الدين ، وشيوع في الزندقة ٠٠٠ وظهرت ألوان من الأدب تنحــو ناحية الهدم لا البناء ، وكان ذلك على سمع الخلافة وبصرها من غير نكـير صارم ، ولا نـهي رادع ، ونتيجة لكـــل ذلك برزت على الأفق ظاهرتـــان اجتماعيتان : هما الزهد من ناحية ، والمجون من ناحية أخرى ، ولـــــقد عبر الشعراء عن الظواهر الاجتماعية في أشعارهم ٠

كـــما ظهــرت الشعــوبية فـــي العـصر العباســـي فــــذكر أحـمد أمـــين (ت : ١٣٧٧ هـ) وأرجح أن اسم الشعوبية لم يستعمل إلا في العصر العباسي الأول " وأخذ يدلل على رأيه ٠

والشعوبيون " قوم يصغرون شأن العرب ولا يرون لهم فضل عـــلى غيرهم ٠

و" الشعوبية وإن كانت لم تعرف بهذا الاسم إلا في العصر العـــباسي إلا أنها حركة مـمتدة الجــذور مـــنذ بداية الفتــح الإسلامي لدولتي الفرس والروم ٠

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية الاحتفال بالأعـياد ، والـــــمواسم ، ومواكب الخلفاء ، وحفلات الزواج " فلقد احـــتفل الخـــلفاء العـباسيون بالعيدين احتفالا دينيا ، فيؤمون

الناس في الصلاة ، ويلقون عليهم خـطبة في فضائل العيد ، كما احتفل أهل بغداد بالأعياد الفارسية ، وبخـاصة النيروز ، والمهرجان ٠٠٠ وكانت الأنوار تسطع في أرجاء المدن ليالي العيد)٠ ولقد تناول الشعراء العميان هذه المظاهر في أشعارهم ٠

العناصر ، والأجناس المكونة للمـجتــمع في العصر العباسي فهي : ـــ

١ـــ العنصر العربي : وكان قد أقصي عن النفوذ في الدولة ، والخــلافة ، وكان للمعتصم في ذلك أثر بين ٠

٢ـــ العنصر الفارسي : كان عماد النظام السياسي ، والإداري لـــلدولة ، ولكن الترك أقصوهم عن منزلتهم ٠

٣ ـــ العنصر التركي : وكان لهم النفوذ السياسي في الدولة ، وقضوا على نفوذ الفرس ، والعرب ، وتولوا شتــى المناصب الرفيعة في الــدولة ،على الرغم من ضعف أخلاقهم الاجتماعية ٠

٤ ـــ العنصر الرومي : فقد كثر أسراهم في بيوت الخلفاء ، والأغـنياء ٠

٥ ـــ العنصر الزنجي : وكان يجلب هذا العنصر مـن سواحــــل أفريقيا الشرقية ، وكانت لهم ثورة ما بين عامي (٢٥٥: ٢٧٠ هــ) ، وكانت حربا على الأجناس ٠ ومن ثم نرى تعدد الأجناس في العصر العباسي ٠

*الحياة العقلية في العصر العباسي :

ويراد بها " حركة النفس الإنسانية في جميع أنواع العلوم والفنـــون ، والثقافات ، والآداب "وتختلف الشعوب عقليا ونفسيا اختلافا كبيرا٠٠٠ وهذه العـــــقليات، والنفسيات تختلف تبعا لاختلاف البيئة الطبيعية والاجـتماعية التي تحـــيط بالأمة ، فالشعوب تقف في العالم على درجات متسلسلة الرقي ، وكـل درجة بها مميزاتها العقلية ، والنفسية " ولكن أكبر ما امتازت به العرب حـدة الذكاء ، وحـضور البديهة ، وفصاحــة القول ، ولـــذلك كان أكــبر مظاهر حياتهم لغتهم ، وشعرهم ، وخطبهم ، وأمثالهم ٠

" ولما كان العلم دائما نتيجة الحضارة إذ فيها يكـثر المال ، وتـتوفر سبل العيش ، فيجد قوم من وقتهم ٠٠٠ مع سهولة الحصول على عيشهم ما يمكنهم من التفرغ للعلم ، والبحث في نظرياته وقضاياه " ٠

وهذا ما تحقق للعرب في هذا العصر فبخروج العرب من جزيرتهم ، وامتزاجهم بحضارات ، وثقافات متعددة تقدمت الحياة العقلية تقدما ملحوظا في شتى الـفنون ، والعلوم " فتتقدم الثقافة الإسلامية ، ويرتقي المـستوى الفكري ، وتظهر النـتيجة لذلك حاجة ملحة إلى بحث العـقائد الدينية ، والآثار المنقولة ، بحـثا يعتمد على الفلسفة الـتي بدأ القـوم يدرسونها ويفهمـونها ، فتتكون الفـرق الكلامية ، ويثـور الجـدل بـين الفرق الإسلامية ٠٠٠ وكان الأدب العربي يتأثر بهذه الأحـداث العميقة التي تهز العالم الإسلامي هزا عنيفا " ٠

النثـر الفـني في العصر العباسي :

طرأت تطورات جديدة على النثر في الجاهلية وعصر صدر الإسلام والعصر الأموي بفعل امتزاج الثقافات الفارسية واليونانية والهندية، عن طريق النقل والترجمة والاقتباس ونظراً إلى أن العباسيين أقاموا دولتهم معتمدين على العنصر الفارسي فقد حاولوا أن يبينوا هذه الدولة بالطريقة الفارسية من حيث إنشاء الدواوين والوزارات التي أخذ الكتاب يتنافسون في تقلد مناحيها ، إذ إنه كان يشترط فيمن يستوزر أن يكون صاحب قدرة وثقافة واسعة وقد أظهر النثر العربي في هذا العصر مرونة جعلته يستوعب ينابيع الثقافات المختلفة إذ لم يعد يقتصر هذا النثر على الجانب الخطابي ، ولم يعد يكتف بالحكمة الفطرية بل اعتمد على الفلسفة والعلوم والمعارف المختلفة والتاريخ وأصبح يحمل مضامين تلك العلوم ، وظهر النثر العلمي والنثر الفلسفي والنثر التاريخي – النثر اللغوي – النثر الشعري والنثر الجدلي...

وكان المعتزلة والمتكلمون قد جعلوا صناعة الكلام لديهم تقوم على:

١- إحسان من الكلام .

٢- ربط المناظرة بالمسائل الدينية و العقيدية .

٣- الاعتماد على بعض المعاني الفلسفية .

٤- اتخاذ أسلوب البراعة في القول.

وقد بلغ النثر العباسي ذروته على يد أبي العلاء المعري في رسالة الغفران التي قلّدها الايطالي (دانتي) في (الملهاة الإلهية).

عوامل ازدهار النثر في العصر العباسي :

١) التقاء الآداب العربية بالآداب الأخرى (الترجمة ، والتعريب).

٢) ارتقاء الثقافة ، ونضوج العقل ؛ نظرا لامتزاج بين العرب وغيرهم من الأمم.

٣) تفاعل النثر مع العلوم والمعارف التي اكتسبها العرب من الأمم الأخرى .

٤) كثرة العلماء والمفكرين الذين اخلصوا في عملهم سواء من العرب أم الموالي .

٥) الاستفادة من الحضارات الأجنبية المتعددة التي استوعبتها الحضارة العربية ، وتأثرت بها وأثرت فيها .

٦) الاستقرار السياسي في أطول فترات هذا العصر ، مما ساعد على الاستقرار الفكري ، والتطور العقلي ، وعمق البحث .

مظاهر ازدهار النثر ورقيه في العصر العباسي :

١) تطور النثر من حيث الفكرة ، والصورة ، والعبارة ، وهي عناصر الأسلوب . فمالت الفكرة إلى الدقة والعمق ، والترتيب المنطقي ، كما كثرت الصور البلاغية ، وتنوعت العبارة بين الإيجاز ، والإطناب ، والمساواة.

٢) اتساع موضوعاته ، وتعدد فنونه .(نثر أدبي ، علمي متأدب ، علمي خالص) وتنوعت فنونه بين (الكتابة ، والخطابة ، والمقامات).

٣) ظهور مذاهب فنية متعددة(ابن المقفع ، الجاحظ ، ابن العميد، القاضي الفاضل).

٤) منافسته للشعر ، وسمو قدره .

فنون النثر في العصر العباسي

طال النثر العباسي خطوات كبيرة، فواكب نهضة العصر وأصبح قادراً على استيعاب المظاهر العلمية والفلسفية والفنية كما أن الموضوعات النثرية تنوعت فشملت مختلف مناحي الحياة ..

فالكتابة الفنية توزعت على ديوان الرسائل والتوقيعات وغيرها .. وكان المسؤولون يختارون خيرة الكتاب لغة وبلاغة وعلماً لتسلم الدواوين، ولاسيما ديوان الرسائل الذي كان يقتضي أكثر من غيره إتقان البلاغة والتفنن في الإبداع، و مستوى رفيعًا من الثقافة. إضافة إلى النثر الفني المتمثل في القصص و المقامات و النقد الأدبي، و النوادر، و الأمثال و الحكم ، و التدوين، و الرحلات، و التاريخ، و العلوم. وكلها فنون لها نصوص رائعة دالة على تمكن عالٍ من أدوات الإبداع النثري.

وظهرت الرسائل الأدبية التي تضمنت الحكم و جوامع الكلم و الأمثال و الفكاهات و كانت موضوعات الرسائل تتراوح بين الأخبار و الأخوانيات ، والاعتذار وغير ذلك وراجت الرسائل الطويلة في العصر العباسي فتناولت السياسة والأخلاق والإجتماع، كرسالة الصاحبة لابن المقفع، ورسالة القيان ورسالة التربيع والدوير للجاحظ، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري.

وعظم شأن القصص في العصر العباسي، فاتسع نطاقه وأصبح مادة أدبية غزيرة، وتنوعت المؤلفات القصصية فأقبل الناس على مطالعتها وتناقلها ومنها ما اهتم بالحقل الديني ككتاب قصص الأنبياء المسنى بالعرائس للثعلبي، وقصص الأنبياء للكسائي، وقصة يوسف الصديق ، وقصة أهل الكهف ، وقصة الإسراء والمعراج ومنها القصص الاجتماعية والغرامية والبطولية ككتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، وقصص العذريين، وسيرة عنتر، وحمزة البلوان، وسواها ومنها القصص التاريخية التي تناولت سير الخلفاء والملوك والأمراء كما عرف العصر العباسي القصص الدخيلة المنقولة، نذكر منها كليلة ودمنة، وكتاب مزدك، وكتاب السندباد، وبعضاً من ألف ليلة وليلة، وأكثره خيالي خرافي يدور بعضه على ألسنة الحيوان.

وإلى جانب القصة ازدهر أدب الأقصوصة، وكتاب البخلاء للجاحظ خير مثال على هذا النوع من الأدب وقد امتاز الأدب القصصي العبسي بدقة الوصف والتصوير وبراعة الحوار، والقدرة على استنباط الحقائق وتصوير مرافق الحياة، وتسقط العجائب والغرائب، والكشف عن العقليات والعادات والتقاليد.

وفي العصر العباسي ظهر فن المقامة، وضعه بديع الزمان الهمذاني، ولقي كثيراً من الرواج في العصر العباسي وما بعده .. وهو سرد قصصي يتناول الأخلاق والعادات والأدب واللغة ، ويمتاز بأسلوبه المسجوع وإغراقه في الصناعة وكثرة الزخارف والمحسنات المتنوعة .. وفضلاً عما ذكرنا اهتم النثر العباسي بتدوين العلوم على أنواعها وهذه العلوم كانت إما عربية إسلامية كعلوم الشريعة والفقه والتفسير والحديث والقراءات والكلام والنحو والصرف والبيان وغير ذلك، وإما أجنبية التأثير كالمنطق والفلسفة والرياضيات والطب والكيمياء والفلك وعلم النبات والحيوان وغير ذلك. بهذا حاولنا أن نلقي نظرة على الأدب العباسي، شعره ونثره، وأن توضح أهم ما تناوله من موضوعات وما امتاز به من خصائص عامة.

أرى أن الطريقة المدرسية التاريخية التقليدية الجافة!! في عرض أعلام الأدب للمتلقين تحتاج إلى معاودة نظر ، وإلى تطوير وتحديث .

المقامات: نشأةً وتطورًا

المفهوم : للمقامة تعريفات كثيرة ،تختلف تعبيرًا وتتفق تفكيرًا، يمكن الخلوص إلى مفهوم شامل لها نصه: هي حكاية قصيرة، قد تكون في صفحتين أو أكثر قليلاً، بحيث تُلقَى في مجلس واحد، وأسلوبها متصنِّع بيانيًّا وبديعيًّا، وتشتمل على عِظَة أو مُلحَة أو نادرة أو مغامرة، وتنتهي عادة بمفاجأة غير متوقعة، لها راوٍ، وبطل يعتمد على الحيلة ووسائل الخداع والتلون ليحقق غرضه، وهو الكدية(الشحاذة) غالبًا.

وهذا المفهوم جمع بين متطلبات شكل المقامة ومضمونها، ويمكن تفكيكه إلى الأركان الآتية حسب ورودها في النص المقامي:

١-الراوي . ٢- المجلس . ٣- الحكاية . ٤- اللغة المتصنعة . ٥- الحوار .
٦- البطل . ٧- النُّكتة أو الفكرة أو العظة أو المفاجأة (المغزى).

نشأة المقامة ورائدها

والمقامة فن عربي أصيل في بيئته ومخترعه وشكله. وليس كما يزعم أحد الباحثين من أنه فارسي !! ذلك لأن أول نص مقامي عُرف عند الأعاجم كان بعد ترجمة مقامات الحريري إلى السريانية، كما أن رائد المقامة الفارسية القاضي حميد الدين البلخي (ت ٥٥٩هـ) اعترف بتقليده للحريري في إبداعه، كما اعترف كثير من مؤرخي الأدب المحدثين : مستشرقين وعربًا، بعروبة هذا الفن النثري الحكائي الرائع . وقد جاءت المقامة مزيجًا رائعًا من تيارين مُسَيْطِرَيْن في القرن الرابع الهجري: **تيار اجتماعي** حيث شيوعُ الحِرْمان والفقر والتسوُّل في الطبقات الوسطى والدنيا، **وتيار فني** حيث شيوعُ مذهب التصنُّع والتكلف الأسلوبي في طبقة النُّخْبة المثقفة المبدعة أدبيًّا . وقد اختلفت كلمة المؤرخين في رائدها على النحو التالي :

- أرجع ابن عبد ربه (ت ٣٨٢هـ) المقامات إلى عهد أبعد من القرن الرابع الهجري معددًا نصوصًا ذُكِرتْ فيها لفظة المقامة، ويمكن تأويلها على المدلول اللغوي لا الاصطلاحي .

- يذهب الحصري (ت نحو ٤١٣هـ) صاحب ((زهر الآداب)) إلى أن بديع الزمان الهمذاني تأثر بأبي بكر بن دريد الأزدي في أحاديث الأربعين، ويؤيد ذلك د/زكي مبارك، ود/شوقي ضيف ـ رحمهما الله تعالى ـ لأن من معاني المقامة الحديث، كما أن أحاديث ابن دريد مصوغة في شكل رواية وسنَد يتقدمها، ثم هي غالبًا مسجوعة، وتمتلئ باللفظ الغريب، وهي أحاديث أُلّفت لغرض تعليم الناشئة اللغة ، بالضبط كما حاول بديع الزمان في أحاديثه ، وان كانت خفيفة رشيقة .

- يذهب الحريري والقلقشندي (ت٨٣١هـ)إلى أن الهمذاني له فضل السبق في ابتداعها وعملها، فهو سبّاق غاياتٍ وصاحب آيات، وان المتصدي بعده لإنشاء مقامه، ولو أُوتِي بلاغة قدامة، لا يغترف إلا من فُضالته، ولا يسري ذلك المسرى إلا بدلالته .

- أما المحدثون من مؤرخي الأدب فقد اختلفوا أيضًا، فقد ذهب كارل بروكلمان مذهب ابن عبد ربه إلى أن المقامات ـ كلفظ ـ موجودة في التراث العربي منذ وجوده، ففي الجاهلية كانت تعني "مجتمع القبيلة"، وفي العصر الأموي كانت تدور حول مفهوم ديني خصوصًا لدى طبقة الزُّهَّاد والمتصوِّفة، ثم تطورت إلى المدلول الأدبي في القرن الثالث الهجري وما بعده.

- ويذهب جرجي زيدان إلى أن أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) شيخ الهمذاني هو رائد المقامات ومخترعها، ولا دليل له على ذلك!!!

والرأي الراجح

المقبول تاريخيًّا وعقليًّا أن الهمذاني هو رائد المقامات، اخترعها مصطلحًا ونصًّا، متأثرًا في ذلك بثلاثة أدباء أعلام، هم :

*ابن دريد الذي وجَّه الهمذاني وجهةً شكليةً تعليمية بأحاديثه .

* الجاحظ الذي ألهم الهمذاني المضمون الأساسي لمقاماته وهو الكُدْيَة، وذلك عن طريق رسالته التي تحدث فيها عن الكُدْيَة والمُكْدِين من حيث وسائلُها وأقاصيصُها .

* الشاعر أبو دُلَف الخزرجي، المعاصر لبديع الهمذاني، والذي قدم له نموذجًا واقعيًّا لبطل مقاماته (أبي الفتح الإسكندري) فهو جوَّال جوَّاب محتالٌ في كسب الرزق بالأدب والشعر...

وقد تبع الهمذاني وقلده في هذا الفن جمهور غفير من أدباء العصر العباسي والمملوكي والعثماني والحديث . من أشهرهم: الحريري، وصلاح الدين الصفدي، والسيوطي، وشهاب الدين التلمساني، وحافظ إبراهيم، ... و غيرهم. مع تطور - إلى درجه كبيرة - في طريقة بنائها تعبيريًّا وتفكيريًّا.

ورغم هذا الحضور الإبداعي لفن المقامة إلا أنه لم يحظَ باهتمام نقدي تراثي، فقد تجاهله كبار النقاد، ولم يشيروا إليه أية إشارة ايجابية على الإطلاق، ويُستَثنَى من ذلك عبارة أو عبارات موجزة خاطفة عند ترجمة الهمذاني أو الحريري، على النحو الذي نجده عند القلقشندي في موسوعته "صبح الأعشى" الذي وصف المقامات بأنها "في الغاية من البلاغة وعلوِّ الرتبة في الصنعة"!!

بل إن ناقدًا كابن الأثير ازدرى المقامة، وفضّل فنَّ الكتابة عليها، متجنيًا على الحريري وناقمًا عليه !! ولم يُعرَف فضل المقامة نقديًّا إلا في العصر الحديث على يد د/ زكي مبارك، ود/ شوقي ضيف، والباحثين في الأدب المقارن مثل الدكتور محمد غنيمي هلال، والدكتور عبدالحكيم حسان، والدكتور الطاهر مكي... وغيرهم ممن ألفوا في فن المقامة من حيث تاريخه وأعلامه وقيمته .

قيمة فن المقامة :

رغم أن هذا الفن متكلف الأسلوب، يتجاهله الكثيرون بسبب ذلك إلا أن هنا نجد له آثارًا طيبة اجتماعيًّا وثقافيًّا ونقديًّا، على النحو التالي:

• **المقامة مُعَلِّمة :** المقامة بين أجناس النثر كالمنظومات العلمية في أجناس الشعر، تُعلِّم متذوقها وحافظها غريبَ اللغة، وجليل العبارات، وكيفية بناء الأسلوب المسجَّع المتصنِّع، فهي تقدم رصيدًا معجميًّا رائعًا، ووسيلة للتمرن على الإنشاء المتأنق بيانيًّا وبديعيًّا، ومستودعًا للحِكَم والتجارب الإنسانية المؤثرة.

• **المقامة مُثقِّفة:** كانت في البداية مُوسعة لغوية أو جمهرة أدبية، ثم تطورت إلى مُوسِعة علمية متخصصة، منها الطبية، والتاريخية، والجغرافية، والدينية، والفكرية . وتتبُّع أسماء مقامات الهمذاني والحريري - فقط - يدل على ذلك .

• **المقامة مُصَوِّرة** : تعد المقامة وثيقة تاريخية- إلى حد ما- تسجل جزءًا من عالمنا الإسلامي زمانيًّا ومكانيًّا وحياتيًّا، فهي وصف للعادات والأحداث والتقاليد البارزة في الطبقات الوسطى والدنيا .

• **المقامة مُمْتِعة:** جاءت المقامة في أطار قصصي فكاهي غالبًا، وعقلي أحيانًا كإطار ترغيبي مُشَوِّق، ينتهي بمفاجأة هزلية . وقد وصلت بعض المقامات إلى درجة عالية من الحَبْكة بين أجزائها، وإحداث عقدة مثيرة ومؤثرة .

• **المقامة مشرِّفة نقديًّا :** شرّفت المقامة الأدب العربي القديم، إذ كانت دليلًا نصيًّا على إدراك العرب للفن القصصي، بل إن بعض المقامات وصلت إلى مستوى عالٍ من الفن، يجعلها قصة عصرية – بكل تِقْنِيَاتِها – تنوء عن مضارعتها اليوم (القرن الحادي والعشرون) أية قصة في تحليل الشخصيات ودرس النفسيات. وتعد المقامة الأسدية، والمقامة البشرية من الأقاصيص ذوات العُقَد . ولو استدعى نظر الأدباء قديمًا في المقامة من خيال أكثر من الصياغة، لكان يمكن أن تكون أساسًا لفن القصة القصيرة . وكان يمكن أن تكون أخصب جنس أدبي عربي لو لم تنحرف عن النقد الاجتماعي في

مضمونها، إلى ميدان المُماحكات اللفظية والألغاز اللغوية والتصنُّع التعبيري الذي لا طائل وراءه . وتعد ـ كذلك ـ نواة للمسرحية العربية الفُكاهية(الملهاة)، إنها في هذا الميدان تحتاج ـ فقط ـ إلى سيناريست مبدع أصيل .

تأثير الحضارات الأخرى في الأدب العباسي :

أ- التأثير الفارسي:

كان التأثير الفارسي في الحضارة الإسلامية أقوى في مجال الأدب حيث كان الأدب الفارسي الشرقي اقرب إلى ذوق العرب و أحاسيسهم من الأدب اليوناني.

في العصر العباسي قام من يجيدون اللغتين الفارسية و العربية بترجمة الكتب الفارسية و من هؤلاء :

- عبدالله بن المقفع - أبناء خالد - الحسن بن سهل

و نخص بالذكر المقفع حيث ترجم تاريخ الفرس و قيمهم و عاداتهم و سير ملوكهم فضلا عن كتب أدبية منها:

- كليلة و دمنة - الأدب الكبير - الأدب الصغير - كتاب اليتيمة

لم تكن حضارة الفرس في مجال الأدب فقط فقد امتلكوا تراثا في العلوم الأخرى كالهندسة و الفلك و الجغرافيا، لكن تأثير اليونان في العلوم العقلية كان أقوى من تأثير الفرس.

ب-التأثير اليوناني:

التأثير اليوناني في الأدب كان محدودا و لا يزيد عن نقل بعض الكلمات مثل:

- القنطار - الدرهم - القسطاس - الفردوس - بالإضافة إلى بعض الحكم

كانت الحضارة اليونانية ذات تأثير قوي في العلوم العقلية و هذا نتج عن معتقدات اليونان أنفسهم و اهتمامهم بالعقل و ارتفاع شانه على حساب الأعمال اليدوية أو المجال الأدبي،

فنقل العرب عنهم في مجال الفلسفة عن أفلاطون و أرسطو و في مجال الطب عن جالينوس و ابقراط.

لبرز مظاهر التأثير اليوناني كانت خلال العصر الهلينستي حيث امتزجت حضارة اليونان بالقسم الشرقي و اخذ المسلمون منهم ما يتوافق مع الإسلام و نبذوا ما يتعارض معه.

ت- **التأثير الهندي:**

حركة الفتوح الإسلامية امتدت إلى الهند في أواخر القرن الأول الهجري، أي في خلافة الوليد بن عبدالملك(٨٦ -٩٦ هـ) و استؤنفت في منتصف القرن الثاني الهجري في عهد أبي جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨ هـ) و نشطت مرة أخرى في القرن الخامس الهجري، و ذكر في ذلك بعض المؤرخين:

- **الجاحظ:**" اشتهر الهند بالحساب و علم النجوم و أسرار الطب".

- **الاصفهاني:** " الهند لهم معرفة بالحساب و الخط الهندي و أسرار الطب و علاج فاحش الداء....".

جزء كبير من ثقافة الهند و علومهم انتقل إلى فارس بحكم العلاقات التجارية بين الطرفين قبل الإسلام و من ذلك أن كسرى انوشروان أرسل طبيبه برزويه إلى الهند لاستحضار كتب و مؤلفات في الطب فعاد بالكثير منها و يقال أن قصة كليلة و دمنة انتقلت من الهند ضمن ما نقله برزويه من كتب بالإضافة إلى لعبة الشطرنج.

. تطور حركة الترجمة و ازدهارها:

حركة الترجمة إلى العربية أخذت تتسع و تزداد قوة في العصر العباسي بفضل:

١. تشجيع الخلفاء العباسيين و رعايتهم لهم و قد فتحوا بغداد أمام العلماء و اجزلوا لهم العطاء و أضفوا عليهم ضروب التشريف و التشجيع بصرف النظر عن مللهم و

عقائدهم. في حين أن حركة الترجمة في العصر الأموي كانت محاولات فردية لا يلبث أن تذبل بزوال الأفراد.

٢. غدت ركنا من أركان سياسة الدولة فلم يعد جهد فردي سرعان ما يزول بزوال الأفراد سواء حكام أو غير ذلك بل أصبح أمرا من أمور الدولة و ركنا من أركانها.

و في حين أن الترجمة في العصر الأموي اقتصرت على الكيمياء و الفلك و الطب، نجد انه في العصر العباسي صارت أوسع نطاقا بحيث شملت الفلسفة و المنطق و العلوم التجريبية و الكتب الأدبية.

من أمثلة اهتمام الخلفاء العباسيين بالعلماء و المترجمين:

١. **الخليفة أبا جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨ هـ) :** و قد عني بترجمة الكتب إلى العربية سواء من اليونانية أو الفارسية، و في تلك المرحلة نقل حنين بن إسحاق بعض كتب ابقراط و جالينوس في الطب و نقل ابن المقفع كتاب "كليلة و دمنة" من الفهلوية.

٢. **هارون الرشيد (١٧٠ -١٩٤ هـ):** عندما كثر أعداد العلماء في بغداد انشأ لهم دار الحكمة لتكون بمثابة أكاديمية علمية يجتمع في رحابها المعلمون و المتعلمون و حرص على تزويدها بالكتب التي نقلت من آسيا الصغرى و القسطنطينية.

٣. **المأمون (١٩٨-٢١٨ هـ) :** ازداد اهتماما ببيت الحكمة، فوسع من نشاطها و ضاعف العطاء للمترجمين و قام بإرسال البعوث إلى القسطنطينية لاستحضار ما يمكن الحصول عليه من مؤلفات يونانية في شتى ألوان المعرفة، فاخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر، و ابن البطريق فاخذوا مما اختاروا و قد ذكر ابن النديم انه كان بين المأمون و إمبراطور القسطنطينية مراسلات بهذا الشأن.

في العلوم الإسلامية : أبو حنيفة ، مالك ، الشافعي ، ابن حنبل ، و من البصريين عيسى بن عمر الثقفي و أبو عمرو بن العلاء والكوفيين أبو جعفر الكراسي و الكسائي و الفراء، محمد بن عمر الواقدي .

في الأدب : و هم كثيرون :

في الشعر: ابن العتاهية العراقي صاحب الزهديات ،و أبو نواس البصري منشد الخمريات ،و أبو تمام السوري صاحب الحماسة ،و تلميذه البحتري السوري ، و امتنبي الكوفي أمير الشعراء، و شاعر الفلاسفة أبي العلاء المعري ،و غيرهم كثار.

في النثر : و ظهر المترجمون :ابن المقفع الفارسي الأصل مترجم كليلة و دمنة ،و الطبيب جورجيس بن بختيشوع و الحجاج بن يوسف بن مطر ، و المبدعون أمثال الجاحظ صاحب البخلاء و بديع الزمان الهمذاني سيد المقامات ،و سهل بن هارون و غيرهم .

في الرياضيات : و نظرا للتطور المبهر لهذا المجال فلابد من عباقرة قادوا هذا الازدهار أمثال أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي و كذا أبناء شاكر

في الطب : أبو بكر الرازي جالينوس العرب صاحب أكبر كتاب في الطب" الحاوي" ، ابن النفيس ، ابن سينا،ابن البيطار ، و الصيادلة :أبو القاسم الزهراوي ،الطبري ، ابن زهر ، موسى بن العازر،أبو قريش عيسى الصيدلاني ، ابن الوافد ، الإدريسي ،البغدادي و غيرهم

نظراً لامتداد العباسيين في فترة القوة واقتدارهم وسيطرتهم على مقاليد الخلافة، توسعت الحياة وتدفقت الأموال وتوافدت إلى العاصمة عناصر أعجمية طبعت الحياة الاجتماعية بمنهاج تفكير جديد حيث اختلطت العادات و الأعراف الأعجمية مع الأعراف العربية، وقويت شوكة الحركة الشعوبية واهتمت الدولة بالزراعة وشق الأمنية للري وعززت الصناعة، ومال الناس إلى اللهو وشاع الفراغ فتفننوا في المأكل والملبس والمشرب وراحت أسواق الغناء والرقص وشاع التسري ، وانتشرت تجارة الرقيق ومال الناس إلى ممارسة هويات مختلفة كالصيد والشطرنج وسباق الخيل، وزاد الاهتمام بالعلماء والأدباء والشعراء والمغنين والموسيقيين فأصبحت مجالس هؤلاء تعج بها بلاطات الخلفاء والأمراء.

- الحياة الفكرية والأدبية:

حاول الخلفاء العباسيون بناء دولتهم على غرار بناء الدولة الفارسية فاهتموا بالأدباء والشعراء لما لهم من أثر كبير في بناء الدولة وتقدم سيرها وفتحوا أمام أرباب العقول والمذاهب ورجال الفكر حرياتٍ واسعة وكثر الباحثون والدارسون وأئمة المذاهب الدينية وتم تدوين الحديث وتسجيل اللغة والشعر، وكثر المترجمون عن اليونانية والسريانية، ونشأت فلسفات حياتية ودينية وزهدية انطلقت من مزج الدين بالفلسفة أحياناً، وتسلح العلماء والأدباء بالجدل والمنطق، وقد كان الفكر الاعتزالي من أهم التيارات الجارفة في العصر العباسي حتى إن المأمون اعتنق هذا المذهب رسيماً وشايعه على ذلك المعتصم والواثق، وتفرعت المعتزلة إلى فرق أهمها (البشرية) نسبة إلى بشر بن المعتر الهلالي، و(الثمامية) نسبة إلى ثمامة بن أشرس، والهذيبية نسبة إلى أبي الهذيل العلاّف و(النطاعية) نسبة إلى أبي اسحق النظّام، و(الجاحظية) نسبة إلى أبي عثمان عمرو الجاحظ.

وكانت البصرة المرتع الخصيب للاتجاه الاعتزالي والتي كانت قد احتضنت الجاحظ فكراً وأدباً وشخصيته إذ أنها مركز حساس يصل إيران بالعراق والجزيرة العربية بالشام أيضاً، وقد وصف الجاحظ عصره وبيئته قائلاً:

"وقد أمكن القول، وصلح الدهر، وهبت ريح العلماء وكسد الحيّ والجهل، وقامت سوق البيان والعلم".

الأسباب التي أدت إلى نهضة الأدب في العصر العباسي :

على الرغم من الانحلال السياسي الذي أصاب الدولة العباسية في العصر العباسي

الثاني إلا أن الأدب شعرا ونثرا ظل مزدهرا وذلك لوجود عدة عوامل منها :

-حرص الخلفاء على نقل العلوم عن الحضارات الأخرى كالفارسية والهندية واليونانية

-تشجيع الترجمة ودراسة هذه الآثار وتحليلها والإضافة عليها ، ولم يكن العرب مجرد ناقلين .

-ازدهار الثقافة الدينية والاهتمام بالتفسير وعلوم الحديث .

-ازدهار العلوم اللغوية وظهور مدرستي البصرة والكوفة في النحو والاهتمام بالنقد الأدبي .

- ظهور تيار جديد في الشعر العربي، يسمى مذهب المحدثين ،أحدث نوعاً من التجديد في منهج بناء القصيدة العربية ، وأكثر من البديع .

سمات الأدب في هذا العصر :

-النضج العقلي والعلمي .

-اهتمام الحكام بالعلم والثقافة والفن والأدب .

-تعدد الحواضر الأدبية من مثل القاهرة ودمشق وحلب وقرطبة .

- التنافس الشديد بين الدويلات ومنافستها بعضها البعض فى جذب الشعراء والعلماء والأدباء والفنانين .

-التنافس الشديد بين الشعراء وذلك ليحظوا بالمكانة المرموقة .

-ظهور حذاق في الشعر والأدب كالمتنبي وأبى العلاء المعرى .

-الامتزاج بين أبناء الأمة العربية وغيرهم من الأجناس الأخرى ونشأة جيل جديد من المولدين يحمل الخصائص العربية والأجنبية (مثل بشار بن برد وابن الرومي) .

-انتشار التطور الحضاري المادي مثل بناء القصور والحدائق والتماثيل والنافورات ووصف الشعراء لكل هذه المظاهر مما أثرى الدرس الأدبي .

-الرقي الثقافي الذي اتسعت آفاقه عن طريق التأليف والترجمة ومجالس العلم والثقافة.

أساليب النثر وخصائصه في العصر العباسي

أ- أساليب النثر في العصر العباسي:

نظراً لتطور فن النثر في هذا العصر انطلاقاً من الحاجة لبعض فنونه (الرسائل الديوانية) أو إظهار القدرة والتفنن في ذلك من خلال الرسائل الديوانية والأخوانية فإن الكتاب اهتموا بهذا الفن وصنعوا له طرقاً مختلفة ولكنها تلتقي في نقطتين أساسيتين تظهران أسلوب النثر في ذلك العصر :

١- ايصال المعنى الدقيق والطريف إلى القارئ .

٢- إثارة الجمال في نفس القارئ والسامع .

وبذلك يكون أسلوب النثر قد انتهج طريقاً واضحاً لايصال المعنى ، وقد أوضح الجاحظ في مقدمة كتابه " البيان والتبين " هذا الطريق من خلال اعتماد النقاط التالية:

١- فصاحة الألفاظ. ٢-عدم تنافر الحروف.

٣- أداء الألفاظ للمعاني الدقيقة .

٤- اعتماد أسلوب البلاغة العربية في توصيل المعاني.

ب- خصائص النثر :

بما أن كتاب النثر في العصر العباسي اطلعوا على ما كتب في النثر في المصادر العربية كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والمصادر الهندية واليونانية من خلال ما

ترجم من كتب فلسفية ، فإن كتاب النثر اعتمدوا في كتابة منثوراتهم على خلط الطريقتين العربية والأعجمية مما جعل النثر يتميز بخصائص مختلفة بين الكتاب ويمكن حصرها بـ:

١- استعمال الألفاظ المتوسطة التي تنفي الألفاظ المتوعرة والألفاظ السوقية الساقطة.

٢- ايجاد ضرب من التلاؤم الموسيقي الذي يكسو الكلام كسوة الازدواج والترادف الصوتي وكلام البديع.

٣- اعتماد مذهب السجع.

٤- التركيز على تصنيع العبارة وترصيعها وزخرفتها .

٥- اللجوء إلى المبالغات والتهويلات والاعتذار بكثرة العبارات المنمقة.

ملاحظة:

وقد وصل النثر في هذا العصر إلى درجة الاهتمام بالشكل أكثر من المضمون بحيث تبدو القطعة النثرية المكتوبة مقصودة لذاتها ، يريد الكاتب أن يعبر عن مقدرته وموهبته فيها أكثر مما يريد أن يعبر عن معنى من المعاني التي يحتاجها الإنسان .

أهم كتاب النثر في العصر العباسي:

من ابرز كتاب النثر في هذا العصر الجاحظ وابن المقفع وسهل بن هارون وأبو بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني و الحريري.

وقد اهتم ابن المقفع وسهل بن هارون بمذهب الصنعة في العصر العباسي ، وترجع أهمية بن المقفع في النثر العربي إلى أنه يعد أفضل من نقل الثقافة الفارسية إلى العربية ، وما نقل إلى الفارسية من ثقافات يونانية أو هندية ، وقد ترجم كتاب "كليلة ودمنة " إلى أكثر من ثلاثين لغة كبرى لما لهذا الكتاب من أهمية كبيرة وقد كان (جوته) وكثيراً ما يذكران أن طفولتيهما عامرة بما ترجم عن العربية (كليلة ودمنة – ألف ليلة وليلة)

الأدب الأندلسي سماته وأغراضه

دخول العرب إلى الأندلس:

يا أهل اندلس لله دركم ماءٌ وظلٌ وأنهارٌ وأشجار

ما جنة الخلد إلاّ في دياركم ولو تخيرتُ هذا كنت أختار

ما إن انتهى موسى بن نصير من فتح بلاد المغرب العربي حتى كلف أحد قادة الجيوش طارق بن زياد بالعبور إلى مضيق الجبل المسمى باسمه والانطلاق إلى بلادٍ جديدة تتميز بالسحر والجمال والخير الوفير.

ذلك أن ملوك القوط وعلى رأسهم الملك (لذريق) كانوا قد سيطروا على البلاد سيطرة ظلم وحاولوا إجبار اليهود المقيميين في تلك البلاد على التنصر، فما جعل هؤلاء اليهود يتعاونون مع الفاتح الجديد ويقدمون له الخدمات ويقودون الجيوش الجديدة إلى مدن الأندلس إضافة إلى أن (يوليان) أحد ملوك مدن المغرب الساحلية قد اراد الانتقام لابنته التي كانت تعمل وصيفة في بلاط الملك (لذريق) والذي انتزع هذا الملك عفتها بحيث جعل (يوليان) يقدم السفن للعرب الفاتحيين ناهيك عن أنّ العرب أنفسهم كانوا يحملون رسالة القرآن إلى البلاد الجديدة التي يريدون فتحها ولم يمض عام (٥٩٢هـ) حتى أصبح الأندلس إمارةً عربية كرّست بناء الدولة إذ أنه أعاد الخلافة الأموية إلى الأرض الأندلسية بعد غيابها من الأندلس.

وهكذا استقر العرب المسلمون في تلك البلاد وسموا مدنها باسم مدن المشرق ، ونهضوا بعمرانها نهضة قوية وحاولوا مطاولة الخلفاء العباسيين من حيث مقاومة الافرنج والوصول إلى مشارف مدينة (باريس) في معركة (بلاط الشهداء) .

ومن حيث بناء المدن والقصور التي ما تزال شامخة إلى يومها هذا كقصر الحمراء.

ومن حيث الارتقاء الثقافي المعرفي والأدبي حيث تشكلت نهضة كبيرة في الأدب والدين والفلسفة والغناء والموسيقى.

ومما يلفت النظر شيوع الشعر في المجتمع الأندلسي، إذ لم يكن الشعر وقفًا على الشعراء المحترفين، وإنما شاركهم في ذلك الأمراء والوزراء والكتاب والفقهاء والفلاسفة والأطباء وأهل النحو واللغة وغيرهم، فالمجتمع الأندلسي بسبب تكوينه الثقافي القائم على علوم العربية وآدابها، ثم طبيعة الأندلس التي تستثير العواطف وتحرك الخيال، كل ذلك جعل المجتمع يتنفس الشعر طبعاً وكأنما تحول معظم أهله إلى شعراء ، وسوف نتحدث هنا عن اتجاهات الشعر الأندلسي وأغراضه الشعرية .

أ ـ اتجاهات الشعر الأندلسي :

اتجه الشعر في الأندلس إلى ثلاثة اتجاهات :

١ـ الاتجاه المحافظ :

الذي يهتم بالموضوعات التقليدية ويتبع منهج القدماء في بناء القصيدة من حيث الأسلوب البدوي، حيث تحوي ألفاظه جزالة وعبارات لا تخلو من خشونة وحوشيّة، أما بحوره فطويلة وقوافيه غنائية، ويحتذي هذا الاتجاه نماذج المشرق.

أما الغزل فكان يعبر عن الحب الصادق، فلا مجال إلا لفارس عاشق أو عاشق فارس يُذكر بعنترة بن شداد، ولعل أهل الأندلس كانوا يتمثلون عالم الآباء والأجداد، حيث الصحراء والكثبان والواحات وهم في عالم يبعد عن ذلك العالم، وكأنهم يستلهمون العالم المثالي، وبالرغم من ذلك كان لهذا الاتجاه سماته الخاصة في الشعر الأندلسي، وقد جعلت تلك السمات لهذا الشعر ذاتية مستقلة وطبعت الملامح الأولى للشعر الأندلسي وميزته عن الشعر المشرقي، ومن أشهر شعراء هذا الاتجاه عبد الرحمن الداخل وأبو المخشي والحكم بن هشام وعباس بن ناصح وغيرهم من شعراء الفترة الباكرة.

٢ـ الاتجاه المحدث :

وهو الاتجاه الذي حمل لواءه بالمشرق مسلم بن الوليد وأبو العتاهية وغيرهما، من دعاة التجديد، الذين ثاروا على الاتجاه المحافظ وطرقوا موضوعات جديدة بأسلوب متنوع، خالفوا فيه طريقة القدماء في بناء القصيدة، وعرفت الأندلس هذا الاتجاه على يد عباس بن ناصح، حيث نقله من المشرق، وتمثل الاتجاه المحدث في الأندلس باهتمامه بأغراض لم تكن قائمة بذاتها في القصيدة من قبل، فظهرت القصائد بأسلوب قصصي لا يخلو من روح الدعابة والسخرية، أما صوره فتتألف من عناصر حضرية في لغة يسيرة الألفاظ وإيقاع يميل إلى البحور القصيرة والقوافي الرقيقة، ويعد الشاعر يحيى بن حكم الغزال من أشهر رواد هذا الاتجاه.

٣ـ الاتجاه المحافظ الجديد :

الذي ظهر في المشرق بسبب تطرف الاتجاه المحدث ومن ثم هو محاولة لإعادة الشعر العربي إلى طبيعته وموروثه دون جمود أو بداوة، وقد عمد هذا الاتجاه إلى الإفادة من رقي العقل العربي بما بَلَغَتْه الثقافة العربية الإسلامية من نهضة واسعة في مجتمع توفرت له أسباب الحضارة، وكان هذا الاتجاه محافظًا في منهج بناء القصيدة ولغتها وموسيقاها وقيمها وأخلاقها وروحها، ولكنه مجدد في المضمون وفي معاني الشعر وصوره وأسلوبه، ويمثل أبو تمام والبحتري والمتنبي دعائم هذا الاتجاه في المشرق، وقد عرفت الأندلس هذا الاتجاه على يد نفر من الأندلسيين رحلوا للمشرق وعادوا للأندلس بأشعار البحتري وأبي تمام، وكانت فترة الخلافة في ذروة نضجها، إذ كان المجتمع الأندلسي في هذه الفترة قد تجاوز الانبهار بالمستحدثات الحضارية التي بهرت شعراء القرن الثاني وأصبح أكثر استقراراً وتعقلاً، ومن أعلام هذا الاتجاه ابن عبد ربه وابن هانئ والرمادي وغيرهم.

ب ـ أغراض الشعر الأندلسي /

عالج شعراء الأندلس مختلف أغراض الشعر وإن تميزت بعض الأغراض باهتمام أكبر من غيرها، ويمثل الشعر أحد جوانب الحضارة العربية الأندلسية، فقد عبر عن

قوالب تلك الحضارة وعن مضمونها وطبيعة الصراعات السياسية والتغيّرات الاجتماعية في الأندلس.

١- النسيب (الغزل) :

من أهم الأغراض التي عالجها الشعر الأندلسي، وأوضح سماته تلك الرقة في العواطف المعبّر عنها في رقة البيان، وكان للحياة الأندلسية دور إيجابي في طبيعة شعر الغزل، فهو غزل حسّي يقف عند حدود الوصف المادي مستعيراً أوصاف المحبوب من البيئة حوله، وبالرغم من ذلك فهناك من اتخذوا الغزل العفيف مذهباً لهم .

وأجمل ما في الغزل الأندلسي بجانب لطف التعبير، أن الصادق منه شديد التأثير، خاصة حين يبكي الشاعر ويحن في إيقاع غير متكلف، ويمثل ابن زيدون قمة هذا الاتجاه خاصة في قصائده إلى ولادة بنت المستكفي .

٢- المدح :

أما شعر المدح فكان موجهاً إلى الأمراء والخلفاء والحكام، وكان يتناول جانبين من حياتهم، أولهما الصفات التي يخلعها الشاعر على ممدوحه من شجاعة ووفاء وكرم، وثانيهما انتصارات الممدوح التي هي نصر وعزّ للإسلام والمسلمين ثم وصف لمعاركهم الحربية.

ويتراوح أسلوب المدح بين الجزالة والسهولة، والفخامة والرقة، وفقاً لطبيعة المعاني المعبّر عنها، ولكنه بوجه عام يميل إلى التأنق في العبارة والصياغة، وقد تختلف طريقة بناء قصائد المدح بين شاعر وآخر، فبعضها كان ينهج نهج الأقدمين، فيبدأ بمقدمة طللية ونسيب ووصف للرحلة ثم يتخلص إلى المدح، بينما نجد منهم من يعمد إلى موضوعه مباشرة دون مقدمات، ويقدم صنف ثالث بين يدي ممدوحه شيئاً من الغزل أو وصف

الطبيعة أو الشكوى والعتاب، وعقب ذلك ينتقل إلى المدح، ومن أشهر شعراء الأندلس في هذا الغرض ابن حمديس وابن هانئ وابن زيدون وابن دراج القسطلي، ولا نجد من الشعراء المحترفين شاعراً لم يعالج هذا الغرض.

٣- الرثاء :

أما شعر الرثاء في الأندلس في معناه التقليدي فلم يكن من الأغراض الرائجة وظل يحذو حذو نماذج الشعر المشرقي حين يستهلّ برد الفواجع ووصف المصيبة التي حلت بموت الفقيد، وعادة تستهل القصيدة بالحِكَم وتختتم بالعظات والعبر. أما رثاء المدن والممالك، فهو الغرض الأندلسي الذي نبعت سماته وأفكاره من طبيعة الاضطراب السياسي في الأندلس ، وكان مجال إبداعٍ في الشعر الأندلسي.

٤- الفلسفة :

كما طوع شعراء الأندلس الفلسفة للشعر والشعر للفلسفة، فصوروا الخواطر النفسية والتأملات الفكرية مما يُعد مجال إبداع في هذا اللون من الشعر .

٥- الزهد والتقشف :

أما شعر الزهد والتقشف والمدائح النبوية، فقد تفوقوا فيه على شعراء المشرق من حيث غزارة الإنتاج وتوليد المعاني ورسم الصور المؤثرة القوية، ويلفت النظر أن عدداً من شعراء الأندلس أدركتهم التوبة بعد طول حياة لاهية فوجهوا طاقتهم الشعرية في آخر أيامهم إلى طلب مغفرة الله ومرضاته وإلى ذم حياة اللهو والمجون والدعوة إلى الزهد والتقشف، ومن أشهرهم في هذا المقام ابن عبد ربه وابن حمديس والغزال.

٦- وصف الطبيعة :

وكان لطبيعة الأندلس الأثر الحاسم في جعل شعر الطبيعة من أميز أغراض الشعر الأندلسي، وتمثل طبيعة الأندلس الرائعة الملهم الأول لشعرائها.

ويتَّسِم هذا اللون من الشعر بإغراقه في التشبيهات والاستعارات وتشخيص مظاهر الطبيعة وسمو الخيال، كما كان يعتبر غرضاً مستقلاً بذاته ولا يمتزج بأغراض أخرى، وإن امتزج بها لم يتجاوز الغزل أو مقدمات قصائد المدح.

ويعد معظم شعراء الأندلس من شعراء الطبيعة، فكل منهم أدلى بدلوه في هذا المجال إما متغنياً بجمال طبيعة الأندلس أو واصفاً لمجالس الأنس والطرب المنعقدة فيها، أو واصفاً القصور والحدائق التي شُيدت بين أحضان الطبيعة، ولذلك كان كل شعراء الأندلس ممن وصفوا الطبيعة، ويُعدُّ الشاعرابن خفاجة الأندلسي المقدَّم بين هؤلاء الشعراء إذ وقف نفسه وشعره على التغني بالطبيعة لا يتجاوزها وجعل أغراض شعره الأخرى تدور حولها.

٧- شعر التصوف :

وأما التصوف فقد اشتهر به من شعراء الأندلس أعلام على رأسهم شيخ المتصوفين ابن عربي وابن سبعين وابن العريف والشستري وغيرهم.

وقد وجه الشعر الأندلسي طاقة كبيرة للتغني بمدائح الرسول ، وكان أهل الأندلس قاطبة يحنون إلى الحجاز وإلى مهبط الوحي وإلى المدينة المنورة.

وقد اتسع المديح النبوي منذ القرن السادس الهجري وأصبح من أغراض الشعر الأندلسي المقدَّمة، وكان من أسباب ذلك إحساس أهل الأندلس بضيعة الإسلام، عندما تكاثرت عليهم جيوش النصارى، فاتخذوا من الشعر أداة للاستغاثة بالرسول الكريم وكانوا يرسلون القصائد إلى القبر النّبوي الشريف واصفين محنهم وأذاهم.

ومن أشهر هؤلاء الشعراء أبو زيد الفازازي وابن جابر الأندلسي وأبو الحسن الرُّعَيْني وغيرهم من شعراء الأندلس .

أهم مميزات الشعر في العصر الأندلسي

- ❖ ليس له من الأندلسية إلا أنه قيل في الأندلس .
- ❖ يهتم بجزالة اللفظ وفخامة العبارة ، ولا يرى في معانيه كثير من تعمق الفكر.
- ❖ لا يلمح في صوره نصيب من تحليق الأخيلة ، وإنما هو أميل إلى البداوة و أقرب إلى الخشونة .
- ❖ ليس فيه تجارب شعرية مستحدثة ، ولا أساليب فنية متميزة ، لأن أصحابه لم يصيبوا بعد من الثقافة و التحضر و التأثر شيئاً من الحياة الجديدة .

و لقد قال الأندلسيون شعراً في أغراض الشعر التقليدية المعروفة ، كالغزل و المديح و الرثاء و الحكمة و الهجاء و الزهد و الاستعطاف و التصوف و المجون ، وغيرها من الأغراض التقليدية .

غير أن أهل الأندلس توسعوا القول في غرضين من أغراض الشعر هما :

- **وصف الطبيعة** ، ونموذجه (ابن خفاجة الأندلسي) .
- **رثاء المدن والممالك**، و نموذجه (أبو البقاء الرندي) .

واستحدثوا على الأرجح غرضين هما :

- **شعر الاستغاثة** ، ونموذجه (ابن الأبّار الأندلسي) .
- **الشعر التعليمي** ، و نموذجه (ابن مالك) .

واستحدث أهل الأندلس فنّين من فنون الشعر ، هما :

-الموشحات :

وهي فن شعري خاص عمل للغناء في بدايته ، وكان في بدايته مقتصراً على غرض الغزل ، ثم كتبت الموشحات في أغراض أخرى ، واشتهر به كثير من الوشاحين أمثال (عبادة ابن ماء السماء ، الأعمى التطيلي ، ابن القزاز ، ابن بقي ، أبوبكر ابن زهر ، ابن سهل ، ابن الخطيب الأندلسي) .

-فن الزجل :

وهو أيضاً من فنون الشعر الأندلسي المستحدثة كالموشحات وهو فن للغناء أيضاً ، غير أنه يعتمد في لغته على اللغة الدارجة نسبياً (اللهجة العامية) ، وقد يطعم ببعض الألفاظ الأجنبية واشتهر به (ابن راشد ، وابن قزمان) وغيرهما .

العوامل المؤثرة في تكوين الأدب الأندلسي:

الحضارة العربية في الأندلس

تمهيد كانت أوروبا تعيش في تخلف وظلام وجهل ، بينما نهض العرب بعد ظهور الإسلام وفتحوا الأندلس عام (٩١هـ - ٧١١م) فانتقلت الحضارة الإسلامية إلى أوروبا لتبدأ الحضارة الأوربية في التقدم بعد الجهل لذلك فأساس الحضارة الأوروبية الإسلام ، والأندلس هي (أسبانيا والبرتغال) الآن حتى انقسمت الدولة الأندلسية وسادها الضعف والانقسام والتفتت حتى سقطت هذه الدولة وسيطر عليها الفرنجة عام (٨٩٧هـ ١٤٩٢م) .

الحياة الاجتماعية في الأندلس :

دخل أهل الأندلس الدين الإسلامي ووجدوا فيه الحرية والعدل ما لم يجدوه عند حكامهم السابقين ، فتم الاندماج بينهم وبين المسلمين عن طريق التزاوج والمصاهرة وبذلك نشأ جيل جديد يجمع بين الصفات العربية والصفات الغربية ويتميز بصفات نفسية وعقلية جديدة .

الحياة الفكرية في الأندلس :

كانت الثقافة التي تأثر بها أدباء الأندلس هي ثقافة المشرق العربي ثم بدأت هذه الثقافة تنتقل إلى أوروبا لتبدد الظلام والجهل هناك .

الحياة الأدبية في الأندلس :

تأثر أدباء الأندلس بأدباء المشرق وإن كان هناك ملاحظتين تجدر الإشارة إليهما هما :

١- **الملاحظة الأولى** : أن الشعر الأندلسي قد قلد الشرق في الأوزان والقوافي وتعدد الأغراض في القصيدة ولا يستثنى من ذلك إلى فن الموشحات والزجل ولعل أسباب تقليد أدباء الأندلس للشرق هي :

١- شعور الأندلسيين بأنهم جزء من العالم العربي .

٢- كانوا يرون بأن المشرق العربي هو مهد اللغة العربية وموضع ظهور الإسلام .

وقد كان من آثار ذلك :

١- عكوفهم على الشعر القديم.

٢- القيام برحلات إلى المشرق للقاء العلماء.

٣- استقدام علماء إلى الأندلس للتدريس بمساجدها فيهم " أبوعلي القالي" الذي ألف كتاب الأمالي وأيضاً الموسيقار " زرياب " الذي جدد في موسيقي الأندلس .

٢- **الملاحظة الثانية :** أن مدارس الشعر في الأندلس لم تكن واضحة كما هو الحال في المشرق فالصراع بين مدرسة المحدثين التي يمثلها (بشار بن برد – وأبو نواس) وبين مدرسة المحافظين ، والصراع بين مدرسة أبي تمام التي تمثل الصنعة وبين مدرسة البحتري التي تمثل الطبع .

كل ذلك لم نجد مثله في الشعر الأندلسي حتى يمكن تقسيم الشعراء هناك لمدارس متميزة

ولعل السبب في ذلك :

١- أن الشعر والأدب الأندلسي قد ظهر متأخراً زمنياً .

٢- فكانت المعارك الأدبية في المشرق قد خفت حدتها .

٣- لأن كل اتجاه في المشرق يظهر في الأندلس بعد قرن تقريباً .

سمات النثر وأغراضه في العصر الأندلسي

تعددت فنون النثر العربي في الأندلس، فتناول الأندلسيون ما كان معروفاً في المشرق من خطب ورسائل ومناظرات ومقامات، وزادوا عليها بعض ما أملته ظروف حياتهم وبيئاتهم، وقد شاع فيهم تصنيف كتب برامج العلماء، التي تضمنت ذكر شيوخهم ومروياتهم وإجازاتهم. وكان للكتاب مزية الجمع بين الشعر والنثر والإجادة فيهما.

إذا كان الأندلسيون قد ترسموا خطى المشارقة في حياتهم الاجتماعية والأدبية ، فمن الطبيعي أن يكون النثر الأندلسي محاكياً لنثر المشارقة من حيث الفنون والأغراض.

إذا أن هؤلاء الأندلسيين لم يكتبوا نثراً ارتقى إلى مستوى النثر العباسي قبل القرن الرابع الهجري ، كما أنهم لم يستحدثوا لأنفسهم مذهباً جديداً في الكتابة معتمدين على عدم الإكثار من المحسنات البديعية إلا في عهد ملوك الطوائف ، وبقيت الأنواع الأدبية والأغراض الأدبية أسيرة لمنهج المشارقة من حيث استخدام الأمثال والاقتباس من القراءن الكريم ، والعناية بالسجع .

وتطور النثر في مختلف أطوار العصر الأندلسي: عرفت في الصدر الأول من الفتح نماذج قليلة من النثر اقتضتها ظروف الفتح، كالخطابة التي تطلبتها مناسبات سياسية ودينية، والكتابة التي اقتضتها ظروف الحكم، وكتابة العهود والرسائل والتوقيعات. وهو نثر تغلب عليه المسحة المشرقية من حيث الميل إلى الجزالة وقوة العبارة وعدم اللجوء إلى المحسنات، ما عدا خطبة طارق بن زياد التي يدور الشك حول نسبتها إليه .

خصائص النثر الأندلسي: على الرغم من تأثر الكتّاب الأندلسيين بأساليب المشارقة، وطرائقهم الفنية، فقد كانت هناك خصائص امتاز بها نثرهم ولاسيما الترسل، فقد اتخذت رسائلهم في بنائها شكلاً فنياً يختلف في بعض جزئياته عن الرسائل المشرقية التي تبدأ في الغالب بالبسملة والتحميد والصلاة على الرسول الكريم، فصارت تخلو من الاستفتاح المعروف وتبدأ بالدعاء للمرسل إليه، وتعظيمه، أو بالمنظوم، أو بالدخول في الموضوع مباشرة.

وتنوعت أساليب الإنشاء بتنوع الموضوعات، إلا أنّ الكتاب حرصوا على الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف، وأكثروا من استعمال الجمل الدعائية والمعترضة، وبالغوا في إبراز الصور البيانية، واهتموا باستعمال المحسنات البديعية، وارتقوا بأسلوب التعبير حتى لتبدو بعض رسائلهم وكأنها شعر منثور كما في رسائل ابن زيدون.

- ومن الأنواع الأدبية التي كتب بها الأندلسيون :

-الخطابة الأندلسية :

وقد احتل هذا الفن من اللحظة الأولى التي دخل فيها العرب الأندلس مكانة مرموقة، والغرض عند الأندلسيين من الخطبة كما هو عند المشارقة يتمثل في إيقاظ نار الحماسة وبث روح الجهاد ، ونشر الدين وإخضاع الأقاليم حيث تمثل الأمراء والحلفاء فصاحة اللغة وعمق البيان واتسمت هذه الخطبة بالسمات التالية:

آ- سهولة العبارة . ب- البعد عن السجع.

ج- الجريان مع الطبع. د- القدرة على التأثير.

هـ- الايجاز والبلاغة. و- وضوح المعاني.

-و لمع من خطبائهم :

"الوليد بن عبد الرحمن بن غانم- أبي عبد الله ابن الفخّار البيري - القاضي أبو الحسن منذر بن سعيد البلوطي".

-فن الترسل الأندلسي:

كما ترسم الأندلسيون خطا المشارقة في الخطابة، حذوا حذوهم في فن الترسل فكتبوا رسائلهم تبعاً للأحوال السياسية والاجتماعية والأدبية وقد برز لديهم نوعان من الرسائل:

الأول: الرسائل الديوانية: وتختص بمكاتبات الملوك والأمراء وما يتعلق بشؤون الخلافة من عزل أو تعيين حاكم أو إصدار مرسوم.

الثاني: الرسائل الأدبية: وقد برع فيها الأندلسيون واحتوت على المناظرات والمناقشات والقصص الخيالية ، ورسائل الاستعطاف والهجاء الساخر ابن زيدون في رسالته (الجدية والهزلية).

و هناك أنواع لفنون وخصائص الكتابة في النثر :

-الكتابة الرسمية :

وهي تلك الكتابات الصادرة عن الخلفاء والأمراء والولاة والقادة، وعمودها الكتابة الديوانية التي تختص بالعلامة السلطانية التي يصدرها الخليفة إلى عماله وولاته وقضاته ورعيته، وموضوعاتها متنوعة تكاد تشمل مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية والتاريخية.

فمن الموضوعات الاجتماعية والسياسية محاربة الآفات الاجتماعية ومكافحة الظلم والدعوة إلى وحدة الصف وإطاعة أولي الأمر.

ومن الموضوعات الدينية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، فقد كتب الفقيه المتصوف ابن عباد الرندي (٧٩٢هـ) إمام جامع القرويين إلى أبي فارس عبد العزيز المريني مستنكراً تصرفات عماله مع المسلمين.

ومن الموضوعات التاريخية سجلت الرسائل الرسمية الغزوات والفتوح والحملات العسكرية، وقد كتب الأندلسيين الرسالة الديوانية بإحكام وروية، واعتنوا بالعبارة واتكأت الرسالة في كثير من ملامحها على الرسالة الديوانية المشرقية، ثم بدأت في العصور المتأخرة تحاول أن ترسم لنفسها ملامح جديدة، فهي تفتتح بالمقام، ثم وصف عظمته، ثم يذكر المتن أو مضمون الرسالة، وقد غلب السجع عليها لتناسب فخامة المقام.

-الكتابة الوصفية :

ويقصد بها الكتابات التي كانت تدور حول المناظرات والمفاخرات بين المدن، وبين الأزهار، وبين الأطيار، كما شملت أدب الرحلات (رحلة ابن بطوطة، ورحلة ابن رشيد، ورحلة ابن خلدون).

واعتمد أغلب الكتاب أسلوب المقامة من حيث التوشية والزخرفة البديعية ومنها السجع، فقد أكد محمد بن عبد الغفور الكلاعي في كتاب «إحكام صنعة الكلام» ضرورة السجع للنثر، واستحسان الإتيان به مع مراعاة الابتعاد عن التكلف فيه حتى لا يثقل على الأذن، وينبو عنه الذوق السليم، كما كتب آخرون بالأسلوب المرسل: صنيع ابن خلدون.

-الكتابة الذاتية :

ويدخل ضمنها الكتابة الإخوانية، ومنها الرسائل المتبادلة بين الكاتب وذوي السلطان، وبين الكاتب وإخوانه، كما تندرج فيها المدائح النبوية، والخواطر التأملية، ولاسيما في الرسائل النبوية. فابن خلدون يحدثنا عن سفر أبي القاسم البرجي إلى التربة المقدسة حاملاً رسالة من أبي عنان المريني إلى الضريح الكريم كتبها أبو عنان بخط يده.

وحرص أغلب الكتاب على العناية بظاهرة الزينة اللفظية، وإن كان بعضهم قد تصدّوا لظاهرة سيطرة البديع على النثر، أو استقبحوا الإكثار منه كما فعل ابن خلدون، فحين

تولى ديوان الإنشاء أيام أبي سالم المريني (ت٧٦٢هـ) فضّل الكلام المرسل على انتحال الأسجاع في الكتابات الرسمية.

وكتب في المناظرات (بين السيف والقلم) ابن برد الأصلع ، وكتب رسالة (التوابع والزوابع) لابن شهيد.

وأهم ما كتب في الفلسفة قصة (حي ابن يقظان) لابن طفيل.

ـ التأليف والتصحيف الأندلسي:

وقد اتسعت أبوابه عندما توفقت ينابيع العلم والثقافة عندما بدأ الأندلسيون يؤطرون للعلوم الطبيعة والفلسفة.

فكتب ابن سيده كتاب (المخصص) في معاني الألفاظ، وكتب الزهراوي في الطب والصيدلة (التنظيف) وصنف ابن حزم (طوق الحمامة) في فلسفة الحب، وكتب لسان الدين بن الخطيب (الإحاطة في تاريخ غرناطة) وكتب الأدريسي في الجغرافيا (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) وابن بسام الأندلسي (الذخيرة في محاسن الجزيرة) وكتب ابن عبد ربه في الأدب (العقد الفريد). وكتب ابن عصفور في فن الصرف.

أبرز أعلام الأدب الأندلسي

إذا كان الأدب الأندلسي لم يعدُ أن يكون امتداداً لأدب المشارقة فإنه قد برز فيه مجموعة من الشعراء والأدباء تركوا أثراً بارزاً في الحياة الثقافية الأندلسية والعربية وبقيت أسماؤهم أعلاماً متميزة كابن هانئ وابن شهيد وابن خفاجة والمعتمد بن عباد ولسان الدين الخطيب وغيرهم .

ـ ابن هانئ:

علمٌ من أعلام الأدب الأندلسي، ولد في اشبيلية عام (٣٢٦هـ) وتوفي مخموراً مقتولاً في المغرب العربي عام (٣٦٢هـ) ولم يتجاوز السادسة والثلاثين .

كان ميالاً إلى اللهو والمجون والزندقة والتمذهب بمذهب الفلاسفة، التقى بحاكم اشبيلية فأكرمه، ولكن أهلها سخطوا عليه فأشار عليه أميرها بالنزوح لينسى خبره فهاجر إلى المغرب واتصل بجوهر الصقلي قائد المنصور الفاطمي وقرّبه المعز بن المنصور وطلب منه جوهر أن يلتحق بمصر، فوجد مقتولاً في اليوم التالي.

ويعد من شعراء الطبقة الأولى، ترسم خطا المتنبي وأكثر من وصف الجيوش والمعارك واعتمد على تغليب اللفظ على المعنى مشبهه المعري(برحىً تطحن القرون) ألفاظه فيها قعقعة، تكلّف الصنعة البديعية والتوشية في شعره واستعمل الجناس، ولم يصور البيئة الأندلسية بل لجأ إلى تقليد شعراء الجزيرة من ذلك قوله:

أما والجواري المنشآت التي سرت لقد ظهرتها عدّةٌ وعديد

قبابٌ كما تزجى القباب على المها ولكنّ من ضمّت عليه اسود

ومن ذلك قوله في المعز لدين الله الفاطمي:

ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ فاحكم فأنت الواحد القهار

فكأنّما أنت النبي محمد وكأنّما أنصارك الأنصار

ومن رثائه قوله:

إنا وفي آمال أنفسنا طولٌ وفي أعمارنا قصرُ

لنرى بأعيننا مصارعنا لو كانت الألبابُ تعتبرُ

- ابن شهيد الولادة (٣٨٢هـ):

ولد أحمد بن أبي مروان بن شهيد في أسرة شريفة في مدينة قرطبة، وقد كان كاتباً وشاعراً، طريف المعشر، يهوى النكتة والدعابة، ويحب مجالس الأنس قرّبه إليه حاكم قرطبة المؤتمن، كتب في المدح والوصف والغزل، له باع طويل في النثر فقد كتب رسائل عدة في الحلواء ورسالة في وصف البرد والنار وأهم رسائله (التوابع والزوابع)

كتبتها على غرار رسالة الغفران للمعري وقد امتاز شعره ونثره ببراعة الأسلوب وسعة الاطلاع والميل إلى القصص والفكاهة و شاكل في شعره الجاحظ وابن المقفع، واتسم نثره بالسجع توفي عام (٤٢٦هـ).

ـ المعتمد بن عباد:

أشهر ملوك الطوائف، والده المعتضد بالله ولد عام (٤٣١هـ) وتولى ملك اشبيلية عام (٤٦١هـ) استوزر ابن عماد الشاعر وأكرم الأدباء والعلماء وبلغ مكله إلى مرسية.

استنجد بيوسف بن تاشفين بعد أن هدده ألفونس السادس فدخل ابن تاشفين الأندلس وطرد القشتاليين وضم الأندلس إلى ملكه، وسجن المعتمد في سجن (أغمات) قرب مراكش.

توفي المعتمد في السجن عام (٤٨٨هـ).

اتخذ الشعر أداة للتعبير عن مشاعره، فوصف الطبيعة والخمر والملاهي، وكتب في الغزل، وأحبّ المعتمد (اعتماد الرميكية) وتزوجها وعاش أيامه الأخيرة سجيناً في أغمات كما عاش أبو فراس سجيناً في (خرشنة).

كانت أشعاره زافرات متقطعة من ذلك قوله:

غريبٌ بأرض المغربين أسير سيبكي عليه منبر وسرير

مضى زمنٌ والملك مستأنس به وأصبح منه اليوم وهو نفوز

ـ ابن خفاجة:

ولد ابراهيم في جزيرة (شُقر) البلنسية عام ٤٥٤هـ.

وعاش في أيام ملوك الطوائف يمكن على اللهو وكتب شعراً ونثراً في المدح والرثاء والشكوى والوصف وأولع بجمال الطبيعة الأندلسية وقد شخّص هذه الطبيعة فأحالها إلى نفوس ذات إحساس تنطق وتشكوا . من ذلك قوله في وصف الجبل:

وأرعن طماح الذوابة باذخ يطاول أعنان السماء بغارب

وقورٌ على ظهر الفلاة كأنّه طوال الليالي مفكر في العواقب

أسخط إليه وهو أخرس صامتٌ ليل السرى العجائب

وقد قلّد ابن خفاجة في نثره ابن العميد وبديع الزمان الهمذاني والتزم السجع والمحسنات اللفظية:

ـ لسان الدين الخطيب:

ولد محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني في غرناطة (٧١٣هـ) وأكبّ على العلم وصاحب العلماء والأدباء فدرس اللغة والأدب والفلسفة والطب وعمل وزيراً لأبي الحجاج يوسف ملك غرناطة ثم لابنه.

اتهمه حسّاده بالزندقة، وقتل في سجن فاس ومن مؤلفاته (الاحاطة في تاريخ غرناطة) وفي (الحلل المرموقة) وكتاب الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، (اللمحة البدرية في الدولة النصرية) وكتاب (ريحانة الكتاب وبخعة المنتاب). وقد كتب في التصوف والموسيقا والطب وشغف بأسلوب المجاز والبديع ومال الزخرف في كلامه له ديوان شعر يحتوي موشحات .

الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير

كثر الكلام في مسألة تأثر الاندلس وتأثيرها، وطال ما بين شد وجذب، فمنهم من يقرر تأثر الاندلس بالمشرق تأثرا تاما، ومنهم من يقف موقف المتشكك ومنهم من يقرر تأثر اوربا بما كان في الاندلس وصقلية، ومنهم من يتشكك لاسباب علمية او غير علمية، والفكر عامة، والادب خاصة ، يشبه الماء في تحركه، ينتقل من الاعلي الي الاسفل او هو يشبه ما يحاوله الماء في الاواني المستطرقة بحيث يكون مستواه واحدا في كل الاواني، واذا كان هذا واضحا في الماء، فهو قريب من ذلك في الفكر، حيث ان الفكر ينتقل من البيئات المتقدمة الي البيئات المتخلفة علي شكل تأثر وتأثير، فحين دخل

المسلمون الاندلس، واستقروا فيها، وجدوا أنفسهم في حاجة الي اشياء كثيرة، موجودة في الشرق لذلك ذهبت وفودهم الي المشرق، تنتقي منه ما تريد لتنقله، فقد ذهب التاجر للتجارة و المتعلم للتعلم، وجامع الكتب لجمع الكتب، وهكذا فلما رأي المشرقيون حاجات اهل الاندلس وعرفوها، بدأوا بتوفيرها لهم ونقلها اليهم، بل انتقل الي الاندلس علماء وفنانون، اثروا تأثيرا جوهريا في اهل الاندلس وزرياب/ الموسيقي والمطرب ومطور العود باضافة وتر خامس اليه ومحول مضرابه الخشبي الي ريشة نسر ومنشئ مدرسة الغناء والموسيقي والمؤثر في اداب الاندلسيين من حيث السلوك والطعام واللباس وما الي ذلك/ دليل مناسب علي تأثر اهل الاندلس بحضارة اهل المشرق، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه مثال اخر واضح علي تأثر اهل الاندلس بما عند المشارقة، يقال هذا مع الانتباه الي ان كل المنجزات الاندلسية في التفسير والحديث النبوي الشريف والنحو والصرف واللغة والفلسفة وغير ذلك/ على اهميتها متأثرة بالمشرق لذا لايستغرب شعور بعض اهل الاندلس بعدم الارتياح وهم يرون اخوانهم الاندلسيين ينظرون الي كل ما في المشرق باعجاب شديد ويتركون ما عندهم في الاندلس وكتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام دليل مناسب علي ما نذهب اليه، فهو/ في مقدمته/ ينحو باللائمة على اهل الاندلس لانهم يعجبون بما في المشرق ويقلدونه، دون ان يهتموا بما عند اهل الاندلس ثم لا يلبث هو نفسه وفي المقدمة نفسها، ان يقرر انه في الذخيرة ينهج نهج الثعالبي في يتيمة الدهر، وحين يقدم شعر الشعراء الاندلسيين او نثر ناثريهم، يتتبع معانيهم عند الشعراء ويخص شعراء المشرق باهتمام كبير، مما يدل علي تأثره الشديد بما عند اهل المشرق، ولكي لايتصور متصور ان زرياب وابن عبد ربه وابن بسام/ علي اهميتهم في الاندلس/ مجرد اسماء شاذة بين اسماء تخالفهم، نذكر بما تقدم من تشبه بعض شعراء الاندلس بشعراء اهل المشرق، متسمين باسمائهم او متلقبين بالقابهم او مجازين من قبلهم او متفوقين عليهم/ كما فعل ابن شهيد في رسالة التوابع والزوابع/ او حاسدين لهم علي ما هم فيه، متمنين ان يكونوا مكانهم.

وهذا كله وسواه، ليس فيه عيب، ولا يغض من شأن اهل الاندلس ولا يعني انهم لم يقدموا انجازات فذة، في الفكر والادب والادب جانب من جوانب الفكر وهو الذي يهمنا في هذا

المجال، فاذا ما اتفقنا علي ذلك، لم يكن غريبا ان يكون للاندلس وصقلية اثر ذو ذراعين احدهما متجه الي المشرق يرد اليه فضله حين يستقبل المشرق/ بكل رحابة صدر/ لا مجرد المنجز العلمي الاندلسي المتمثل في كتب التفسير والحديث النبوي الشريف واللغة من معجمات وكتب نحو وصرف وما الي ذلك من فكر فقهي وفلسفي وتصوفي بل استقبل كذلك باعتزاز، الشعر الاندلسي بما فيه من شعر معتاد، وموشح وزجل ويكفي ان نذكر بكتاب (نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب) للاديب الاندلسي (المقري) الذي رحل الي المشرق هذا الكتاب الذي كتبه في المشرق بطلب من اهل المشرق انفسهم وبكتاب (العاطل الحالي والمرخص الغالي) للشيخ صفي الدين الحلي/ الشاعر والعالم المشرقي العراقي/ للدلالة علي اثر الفكر الاندلسي في المشرق، والقول بأن (العاطل الحالي) اهم الكتب التي رصدت الزجل الاندلسي ونظرت له وحفظت جوانب منه، قد لايكفي دليلا لغسل شك متشكك في اثر الفكر والادب الاندلسيين علي المشرق، لكن من ذا الذي يستطيع ان ينكر انتشار الموشح والزجل خارج الاندلس في بلاد المغرب والمشرق العربيين.؟!

من ذا الذي يستطيع ان ينكر انتشار الموشح والزجل في المغرب والمشرق العربيين وما نظمه/ على نمطهما/ اهل هذين الافقين؟

انك ترى المغاربة والمشارقة ينشدون الموشحات ويتغنون بها ويستمعون اليها علي الرغم من كل التطورات الشعرية والغنائية والموسيقية، فماذا يعني هذا غير تأثر المغاربة والمشارقة بأهل الاندلس؟!

هذا هو ذراع التأثير الاندلسي الاول في اهل المغرب والمشرق العربيين، فما ذراع التأثير الاندلسي الثاني؟

ان ذراع الاندلس المؤثر الثاني هو ذراعها المؤثر في اوربا وليس المقصود بهذا ان نقدم تقريرا واسعا يدور بشأن كل التأثيرات الاندلسية في اوربا، بل ليس الهدف ابراز اهم التأثيرات الاندلسية، لكن الهدف من هذا الامر منحصر في اشارات تنير الطريق لمعرفة جوانب من التأثير الادبي الاندلسي في ادب اوربا عامة وشعرها خاصة.

اذا كان هناك اثر لغوي وشعري او ادبي اندلسي في اوربا فلا بد ان يبدأ بأسبانيا وصقلية من هنا فليس غريبا ما يذهب اليه بعض الدراسين من ان الاسبانية تحتفظ بحرفين عربيين هما: (خاء) و (ثاء) خلافا للغات اللاتينية التي ليس فيها هذان الحرفان، ثم ان في الاسبانية كلمات كثيرة اصلها عربي وانها الاسبانية تحتفظ ب (ال) التعريف العربية فهذا كله طبيعي ناتج عن بقاء العرب والعربية في الاندلس، نحوا من ثمانية قرون ثم ان سقوط غرناطة في عام ٨٩٧ هـ، لم يعن خروج كل العرب بدون استثناء من اسبانيا، لقد بقي بعض العرب/ بهذا الشكل او ذاك/ بعنوان: (المورسكيين) في اسبانيا بعد سقوط غرناطة مدة قد تصل الي قرن فهل يذهب هذا كله بلا اثر؟!

هذا كلام لايعقل. اما اهتمام الايطاليين باللغة العربية/ ولاسباب مختلفة منها التجارة والترجمة فدليله افتتاح مدرسة للغة العربية في مدينة (جنوة) الايطالية سنة ١٢٠٧ م ومن الطبيعي ان تترسب كلمات ذات اصول عربية في اللهجات الايطالية العامية، نتيجة لتأثير هذه المدرسة وبسبب ما تمت ترجمته من الكتب العربية ومنها الشعر العربي ولان التجار الايطاليين تاجروا مع العرب فدخل كل منهم موانئ الاخر وربما مدنه/ ليشتري ويبيع، واللغات كائن حي سريع التفاعل قابل للاخذ والعطاء ودليل ذلك كم كبير من الكلمات الاجنبية التي دخلت اللغة العربية في العصر العباسي مثل (فلسفة، كيمياء، هندسة) نتيجة الترجمة، وهذا الكم الكبير من الكلمات التي دخلت اللغة العربية الحديثة نتيجة جلب المخترع الحديث، وكلمات مثل (الراديو، التلفزيون، التلفون، الموبايل، الكومبيوتر)، وما يتعلق بهذه الكلمات من متعلقات وتوابع يدل علي قدرة اللغة الحية/ بشكل معتاد/ علي الاخذ والعطاء فقد اخذت العربية واعطت يوم تفوقها وفي كل يوم.

واذا امكن الاستدلال علي وجود تأثيرات لغوية عربية في بعض اللغات الاوربية كما تقدم فليس من السهل اثبات تأثر شاعر بشاعر، ناهيك عن تأثير شعر امة بشعر امة اخري، وهي مسالة تأثر الشعر الاوربي بالشعر العربي الاندلسي وفي هذا كلام كثير منه.

أ. ان الشعراء الاوربيين، لم يكونوا يجيدون اللغة العربية، فكيف تأثروا بشعر أهل الاندلس؟

ولعل من جواب هذا السؤال ان الشاعر ليس مضطرا دائما لتعلم لغة الشعر الذي يتأثر به فكثيرا مايكون التأثير ناتجا عن الترجمة ومثال ذلك ما حدث للادب العربي شعرا ونثرا مسرحا ورواية وقصة في القرنين التاسع عشر والعشرين وحتي الوقت الحاضر فمن ذا الذي يزعم ان كل ادباء العرب وشعرائهم يجيدون كل اللغات الاجنبية التي تأثروا بأدبها بل من الذي يزعم ان كل المتأثرين باديب اوربي ما او شاعر يجيدون لغته؟!

ب. ان الشعر المتأثر لايتأثر بالالفاظ الشعرية بل يتأثر بالافكار والاساليب وهو ما يمكن القول بأن الشعراء الاوربيين قد تأثروا به، وعليه فوجود حب سام في شعر ما او عدم وجوده فيه ليس دليل تأثر شعر اخر به او عدم تأثره لان الحب موقف شخصي من مواقف الشاعر ولايمكن نسبته الي شعراء امة ففي شعراء اية امة شعراء يحبون حبا ساميا عذريا او ما يشبه العذري واخرون يحبون حبا ماديا او مكشوفا وهكذا يختلف الموقف من الحب بين شاعر وشاعر في امة واحدة بل قد يختلف لدي الشاعر الواحد بين زمنين واكثر من ذلك فقد يختلف حب الشاعر لامراتين فيتعفف مع احداهما ويتماجن مع الاخري فلا مجال للقول بان هناك موقفا محددا من الحب يقفه كل او اكثر شعراء امة واحدة في زمن معين ناهيك عن ان يحكم ذلك الموقف كل الازمان.

هذه امور يصعب البت بها بشكل قاطع لكنها تدفع الي التفكير وتثير المناقشات المجدية احيانا وغير المجدية في احيان كثيرة.

انما قدمه اجدادنا للحضارة الانسانية شيء مهم لكن الاهم منه ما نستطيع ان نتقدم به نحن لابنائنا واحفادنا من جهة وللحضارة الانسانية من جهة اخري والتفكير بهذا الامر اجدي واحق بالاهتمام.

أثر الأدب الأندلسي في آداب الغرب

إن صنوف التأثير الأدبية هي بذور فنية تستنبت في آداب غير آدابها متى تهيأت لها الظروف والأسباب، وهذا ما حصل في اللقاح الفكري بين الأدبين العربي والإسباني الذي وصل إلى مدن فرنسة الجنوبية، ومدن اللورين الكائنة في الشرق عند حدود ألمانية، فوجد فيها تربة خصبة جرى نسغها إلى ألمانية وإنجلترا لتكون ركائز النهضة الأوربية.

وقد كتب نائب الأسقف في هيتا واسمه خوان رويث «كتاب الحب الشريف» متأثراً بكتاب ابن حزم «طوق الحمامة في الألفة والألاف» في المضمون، وفي طريقة التعبير والسرد، وفي تنويع الشخصيات.

وفي سنة ١٩١٩نشر المستشرق الإسباني ميجيل أسين بالاثيوس في مدريد نظرية في كتابه «أصول إسلامية في الكوميديا الإلهية» تقول إن الأديب الإيطالي دانتي -استوحى في ملهاته الأدب العربي، وحادثة الإسراء والمعراج، وكان ملك قشتالة ألفونسو العاشر الملقب بالعالم أو الحكيم في (1284-1253)م قد أمر بنقل كتب العرب إلى القشتالية، فترجم معراج الرسول.

كذلك غزت المقامات العربية قصص الشطار أو القصة الأوربية الساخرة بنواحيها الفنية وعناصرها الواقعية، وكان لقصة ابن طفيل «حي بن يقظان» أكبر الأثر في قصة «النقادة» للكاتب الإسباني بلتسار غراثيان (1658-1601)م.

وكان للموشحات والأزجال الأثر الأكبر في شعر «التروبادور» وهم شعراء العصور الوسطى الأوربية ظهروا في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي في جنوبي فرنسا ووسطها، وعاشوا في بلاط الملوك والأمراء يتغنون بالحب، وقد يكون بين شعراء

التروبادور ملك أو أمير. لقد استقى التروبادور من الشعر الأندلسي نبعاً من الحقائق النفسية و عملوا بها وطوروها. فقد صور ابن حزم حبّه الذي لم يكن وليد الساعة، وإنما سرى على مهل واستقر عماده، وبالمقابل فإن دوق أكيتانية غيوم التاسع (ت١١٢٧م) وصف شعوره في حبه وطول انتظاره بقوله: «ليس على الأرض شيء يوازي هذا الطرب، ومن شاء أن يتغنى به كما يستأهل فلا بد أن تنقضي سنة كاملة قبل أن يحقق ما يريد».

كذلك وجد التروبادور في الشعر العربي رقياً ونضجاً من حيث التنوع في الوزن والصقل والتعبير اللغوي، فحاولوا السير على منواله، ومن ذلك أن متوسط المقطوعات التي تتألف منها قصيدة التروبادور سبع وهو العدد الغالب على الموشح أو الزجل، وأن مجموع الغصن والقفل يسمى عند التروبادور بيتاً، وهو الاسم ذاته في الموشحات والأزجال.

إن هذا التشابه من حيث البساطة في المعنى، والأوزان والقوافي في الأسلوب، يدل على تأثير التروبادور بالنماذج العروضية والعاطفية في الشعر العربي، وقد انتقل هذا التأثير إلى أوروبا فكان للعرب اليد الطولى في إغناء الشعر الأوربي وإترافه بروائع الصور والأساليب.

كان خوليان ريبيرا (١٨٥٨-١٩٣٤) استاذ العربية بسرقسطة ومدريد هو صاحب النظرية الخطيرة التي أعلنت تأثير الموشحات والأزجال في شعر التروبادور ، إذ قراء ديوان أبن قزمان ودرسه فنياً ولغوياً وعروضياً ، وكشف كثيراً من مفردات اللغة الشعبية التي كان يتفاهم بها المستعربون الأسبان مزيجاً من العربية واللاتينية ، كما قال بوجود ملاحم شعبية أندلسية أثرت في الأدب العربي الأندلسي فوجهت الشعراء إلى الأراجيز التاريخية وإن ساروا فيها على نحو ضيق لم ينفرج به الخيال إلى دائرة ذات إتساع ، أما دراستة عن الموسيقى الأندلسية فقد أنتهى بها إلى أنها كانت المفتاح المؤدي إلى حل الرموز الغامضة في الموسيقى الأوربية ، وعلى سننها طرد النسق الموسيقي فيما نقل عن الأندلس في العصور الوسطى !!

المراجع :

-فنون النثر في الأدب العباسي تأليف: محمود عبد الرحيم صالح تاريخ النشر: ٢٠١١/١٢/٠١ الناشر: دار جرير للنشر والتوزيع .

-الادب في عصر العباسيين (منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث) تأليف: محمد زغلول سلام تاريخ النشر: ١٩٩٨/١٢/٣٠ م الناشر: منشأة المعارف .

-فنون النثر فى العصر العباسى تأليف: أحمد أمين مصطفى تاريخ النشر: ١٩٩٦م

الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث .

-تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين إحسان عباس تاريخ النشر: ٢٠٠٨م.

-في الأدب الأندلسي جودت الركابي تاريخ النشر: ٢٠٠٨م .

-الأدب العربي في الأندلس: تطوره - موضوعاته - وأشهر أعلامه تأليف: علي محمد سلامة تاريخ النشر : ١٩٨٩م .

- مصطفى الزباح : فنون النثر الأدبي بالأندلس ، الدار العالمية للطباعة : ١٩٨٧م.

-الادب الاندلسي بين التأثر والتأثير : د.محمد رجب البيومي ،إدارة الثقافه والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،١٤٠٠هـ ،١٩٨٠م.

الفهرس :